مشروع تـأصيل المعرفة : الواقـع والمـأمول

الباحثة : سهام عبد الرزاق.

ملخص الدراسة

عند النظر في القضايا العلمية التي شغلت العلمـــاء والمفكـــرين المســـلمين في السنوات الأخيرة نجد أن مشروع تأصيل المعرفة قد شكل المحور الأســـاس الـــذي تدور حوله الإجابة عن سؤال البحث عن أسباب نهضة الأمة الإسلامية، وأن هناك قناعة أكيدة بأن التأصيل هو خطوة منهجية لا يمكن بأي حال من الأحوال التنازل عنها ونحن نأمل تغيير الواقع الاسلامي والإنساني على السواء؛ من أجـــل ذلـــك ظهرت جهود علمية رصينة وجادة قدمت المشروع بشكل دقيق وسعت إلى محاولة بناء المنهج العلمي لتطبيق المشروع الذي تبنته أكثر من مؤسسة علميـــة، غـــير أن الجهود لم تتجاوز على أكبر تقدير إنشاء مؤسسات تنـــادي وتـــدرس منطلقـــات المشروع وتقيم محاضرات وندوات ومؤتمرات وتؤلف كتب عن التأصيل، وغـــاب التفعيل الواقعي للمشروع؛ ولهذا الغياب أسبابه الواقعية حاولت هـــذه الدراســـة الموسومة ب" مشروع تأصيل المعرفة الواقع والمأمول" إلقاء الضـــوء علـــى أهمهـــا ومحاولة تقديم بعض الحلول لتخطيها وتجاوزها والدخول بالمشروع إلى دائرة التطبيق الفعلي.

Study summary

In considering the scientific issues that preoccupied Muslim scholars and thinkers in recent years, we find that rooting knowledge project may form the basis linchpin of the answer to the search for the causes of the rise of the Islamic nation question, and that there is a conviction sure that rooting is a systematic step can not be in any way waived and we hope to change the Islamic and human reality both; for it appeared sober and serious scientific efforts of the project presented accurately and sought to try to build a scientific method for the application of the project, which was adopted more than a scientific institution, but the efforts did not exceed the greater appreciation the establishment of institutions advocated and taught perspectives of the project and evaluate the lectures, seminars and conferences and compose written about rooting, and missed the activation realistic for the project; and this absence causes realism tried this study tagged "project rooting knowledge of reality and hoped" to shed light on the most important and try to offer some solutions to overcome them and overcome them and enter the project to the actual application circuit.

المقدمة

يعد مشروع تأصيل المعرفة مشروعا حضاريا وضرورة منهجية وحاجة إنسانية في الآن نفسه، ظهرت معالمه بعد فترة الكمون التي أصابت الأمة الإسلامية، والتي بسببها ذاقت أبشع أنواع الظلم والقهر والاستبداد، وكانت تلك الأحوال نتيجة ضرورية لغياب تفعيل الشرع الإلهي في الواقع الإسلامي والإنساني؛ فتربعت على الساحة الحياتية تشريعات اتسمت بالقصور وغياب النظرة الكلية والمقصد الحضاري؛ فتحوّلت الإنسانية عن إحلال السلم والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع الإنساني، مما سمح بظهور ممارسات غير حضارية سعت إلى تطويق أعناق كثير من البشر واستغلالهم أبشع استغلال إشباعا لشهوة التسلط والتجبر والاستكبار والظلم، فظهرت في هذا السياق نظريات تسعى لتطويق أعناق البشر، وجدت هذه النظريات في العالم الرعاية والعناية وتسريع حضورها في العالم كله، فاستشرت وانتشرت، فاشتهرت، وسرى مفعولها بمحمل الأبعاد، ففشت في عمق الكيان البشري، فكانت سببا في فقد الفعالية، ففشا الظلم ومست آثاره الجميع، ودفعه يحتاج استعادة ما يدفع عن الإنسانية هذا البلاء، فيستوعب المشروع الإنسانية بمختلف أطيافها وبجميع مكوناتها، والطريق الرئيس لتحقيقها العودة إلى المفاتيح التي وضعها خالقها، فالله تعالى عندما خلق الخلق ووضع لهم سننا وقوانين تحكمهم بما يعود على الإنسان من جلب مصلحة أو دفع مفسدة، لهذا فإنّ الإنسان بتجاوزه السنن يظلم نفسه أولا فيشقى ويكون سببا في شقاء غيره، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ

﴿ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[1] وقد فسر ابن عباس الضنك بالشقاء. وليس بالضرورة أن يكون الشقاء بغياب المادة؛ ولكن بوجودها بل بكثرتها يكون الشقاء والإحساس بعدم الرضا وبالتعاسة والحزن والتوتر ، مادام العبد بعيدا عن ربه" فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا ضنك العيش"[2] فهؤلاء﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[3]؛ فهم" غافلون عن أن النفوس لها بقاء بعد الموت وأنها ستلبس ثوبا آخر في حياة أخرى، وستنال إذ ذاك جزاء ما قدمت من خير أو شر..."[4]، ولأن القلب المؤمن أدرك أن ما عاناه ويعانيه البشر من ضنك العيش إنما سببه الرئيس هو تغييب التحكيم الإلهي لكل جوانب الحياة -وهذا في الحقيقة ما يدركه القلب المتعقل؛ إذ أنّ الآفاق والأنفس من خلق الله والله وحده سبحانه من يعلم مقاليد تسييرها؛ فمن الطبيعي والمنطقي أن يختل توازن القلب إذا ما تعامل وفق قواعد مخالفة لسنن الخالق الذي قال: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[5]، فهذه الآيات "دلّت على علمه بالأشياء من وجوه تضمنت البراهين المذكورة لأهل النظر العقلي..."[6] علم

(1) سورة طه،الآيات:123-126.

(2) أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر، المملكة العربية السعودية، ط:2،1999م،323/5.

(3) سورة الروم، الآية:07.

(4) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، طبعة البابي الحلبي، ط:1،1946م،29/21.

(5) سورة الملك، الآية:14.

(6) ابن تيمية، مجموع الفتاوي، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف،2004م،كتاب التفسير،60/16.

بعد ذلك هذا القلب أن الحل في الرجوع إلى الحق مادام الإشكال كان في هجره؛ من أجل ذلك جاء هذا المشروع المنهجي الدقيق ليكون الخطوة الأولى إلى فتح القلب المؤمن ومن بعده العالم فتحا مبينا. ولأن الهم ثقيل والحل أثقل تضافرت الجهود وظهرت مساعي عديدة للقيام بهذا العمل الحضاري المنهجي منذ سبعينات القرن الماضي، فظهرت نشاطات وإن اختلفت آراؤها في المراد بالتأصيل مثلما اختلفت تسمياته ابتداء إلا أنها تصب في الأهداف نفسها تقريبا[1]. وتراوح الجهد المبذول بين مستويين متفاوتين؛ فقصد بعض العلماء بالتأصيل تنقية التراث الإسلامي بما ورد في الكتاب والسنة، وهي جهود وإن حسنت نواياها إلا أنها وقعت في أخطاء فادحة، هذا شأن من أخطأ الوسيلة، أما من أخطأ في الأصل فهذا شأن آخر. وتقويم جهود محاولات التنقية عمل منهجي رصين، لهذا فإنّ تقويمه بحاجة إلى جهود مواكبة له في الدقة والحرقة والأدوات، في حين ظهر اتجاه آخر أعم بكثير من الاتجاه الأول عمل على وضع المعرفة في ميزان القرآن الكريم والسنة الصحيحة من أجل ضبط نتائجها وتوجيهها الوجهة الصحيحة؛ سواء كانت تراثا أم بحوثا حديثة.

غير أننا ونحن نستقصي هذا الجهد العلمي نجد أن كفة العلوم الإنسانية قد رجحت بالنسبة لكفة العلوم الطبيعية وكأنها العلوم الوحيدة التي تنتج المعرفة بالرغم مما لهذه الأخيرة من قدم صدق في إنتاج المعرفة الإنسانية، فقد تأذى العالم من آرائها المعرفية الخاطئة والتي استمدت بناء على نظرهم إلى المائلة عن الإقرار بالرؤية التوحيدية، والتي مفادها التحقق العقلي والقلبي بأن الله "رب العالمين".

(1) انظر: عبد الوهاب سر الختم أحمد، مدخل إلى تأصيل العلوم التربوية، سلسلة المنهجية الاسلامية، جامعة الجزيرة معهد إسلام المعرفة،ص:10. وانظر: ابراهيم عبد الرحمن رجب ،التأصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية، معالم على الطريق، موقع:the islamization of the social sciences

ولعلنا نعرف ما للظواهر الكونية من تمثيلات عقدية جعل منها آلهة تعبد، فهذه الظواهر والعلوم الكونية إن لم تفهم فهما أصيلا أصبحت في مفهوم المهتمين بها وتابعيهم بعد ذلك معارف خطيرة تساهم في غرس الضلال العلمي في المكتسبات العلمية، وبالتالي تقود البشرية -كما حدث ولا يزال -إلى المتاهات "العلمية" التي تطيل معاناة التجربة الإنسانية فوق هذه المعمورة. فضلا عن تشويهها للعقيدة الصحيحة؛ فالتأصيل إذا لا يمكن أن ينحصر في العلوم الإنسانية ويهمل علوم الطبيعة والحياة وإلا فقدنا جانبا معرفيا هاما له ثقله في تكوين الوعي الإنساني بما يحيط به من المخلوقات، واحدثنا ثغرة فعلية لها تأثير غير مغفول عنه في البناء المعرفي، غير أن منهج تأصيل العلوم الطبيعية يختلف عن منهج تأصيل العلوم الإنسانية بالرغم من الثوابت المعرفية التي يشترك فيها كلا العلمين، كما سيتبين من خلال هذا البحث.

تمهيد البحث

قبل الخوض في مباحث الموضوع نذكر بداية مجموعة من الثوابت بوصفها مقدمات يتعيّن الأخذ بها تمهيدا لقضية التأصيل.

1- لهذا الكون والإنسان خالقا واحدا هو الله تعالى، وكل انسان يولد موحدا.

2- القرآن الكريم كلام الله خالق السماوات والأرض؛ وبالتالي فهو نص ضابط لحياة الانسان وحركته الاعمارية.

3-البحث العلمي ضرورة قرآنية، ولا يوجد كتاب سماوي أولى الأهمية البالغة لمسألة البحث العلمي كما أولاها له القرآن الكريم.

4-العلم أداة فعالة تمكن مالكيها من تسيير العالم وفق معطياتهم الفكرية والعقدية.

5-البحث العلمي من حق كل إنسان بغض النظر عن جنسه أو عقيدته أو جنسيته؛ ولا تقتصر الاستفادة على من وصل إلى نتائجه الصحيحة ولكن تتعداه إلى الآخر.

6-العلم غير مراد لذاته ولكن لهدف الوصول إلى الحق تعالى وبالتالي كل الأهداف الفرعية التي تندرج تحت الهدف الأسمى.

7-القلب البشري عندما يتبع سنن الله حتى وإن لم يكن مؤمنا يمكنه الوصول إلى العلم؛ فنجد على هذا الأساس جماعات غير مؤمنة تملك الدنيا فيصبح العلم بذلك أداة هدم بدل أن يكون أداة بناء.

8-العلم يقود صاحبه إلى الحق تعالى، فإن لم يصل العالم بعلمه إلى الله تعالى الحق فهذا يعني أن هناك خللا في قلبه لا في العلم.

9- النظريات العلمية الخاطئة أو التي أدت إلى تفسيرات خاطئة سببها غياب الإيمان.

10- العالم اليوم رغم التقدم التكنولوجي يعيش في ظلمات الجهل وهو يمر بمرحلة متأزمة يحتاج فيها إلى من ينقذه من هذا الضلال ولا منقذ إلا الإسلام دين الحق.

11- العالم المؤمن الذي كان في الأصل مؤمنا أو الذي أوصله علمه إلى الإيمان يحمل روح العلم وهو وحده بالمقارنة بالعالم غير المسلم قادر على أن يوجه العلم

وجهته الصحيحة كما أنه القادر على أن يصلح الحياة البشرية بإحلال السلم والأمن والعدل؛ وهذا المفترض فإن لم يحصل فالخلل في قلب العالم .

12- المناهج العلمية الحديثة غير المؤمنة أعلنت إفلاسها أو ظهر إفلاسها وإن لم تعلنه؛ لأنها ابتعدت عن الهدف الكوني وهو التوحيد.

13- العلوم الطبيعية ستظل قاصرة إذا لم تدرس في ضوء التوحيد. وقصورها يظهر في عدم اسعادها للبشرية وعدم توفير الأمن.

14-الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحمل طرفي الغيب والشهادة في معادلة واحدة .

بعد هذه المقدمات التي رأيت أن أستهل بها قبل الخوض في تفاصيل التأصيل نلج باب بحثنا:

المبحث الأول:

أهمية التأصيل وسؤال المشروعية

لا يعد الخوض في تأصيل المعرفة بحثا مبتكرا، بل هو من الدراسات التي شغلت عقول كثير من العلماء على مرّ التاريخ، فقد أفاضل وكانت جهودهم أولى إرهاصات هذا العمل العلمي الهادف، وربما لقائل أن يسأل لماذا العودة إلى هذا العنصر لمناقشته والكتابة فيه؟ ولهذا السؤال مبرراته المنهجية فما كتب فيه لا داعي لإعادته حتى لا نسقط في الثرثرة. غير أن الذي جعلني أتناول هذا العنصر بالتحليل هو الشعور بضرورة التنبيه لمسألة دقيقة جدا تتعلق بأهمية التأصيل تعلقا وطيدا؛ وهي التوظيف الواقعي للمعرفة أو كما يصطلح عليها أحد الأساتذة: **الأبعاد**

الوظيفية للمعرفة كما يصطلح بعض الأساتذة[1]، فتأصيل المعرفة ليس مشروعا تنظيريا بعيدا عن منطلق التغيير ولا يجب على الإطلاق أن يصبح مجرد تجريد معرفي؛ بل هو مشروع علمي عملي مضبوط تماما بما قاله الإمام الشاطبي: "كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها لم يدل على استحسانه دليل شرعي؛ وأعني بالعمل عمل القلب وعمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا"[2] فليس من العلم ولا من الممارسات العلمية أن نشغل قلوبنا بما لا يحرك جوارحنا ويعيننا على تغيير ما حاد عن جادة الصواب – وما أكثره في هذا العصر-؛ من أجل هذا ونحن نخوض موضوع التأصيل المعرفي أو تأصيل العلوم والمعارف لا يجب أبدا أن يغيب عن قلوبنا ضرورة استنطاق هذا المشروع بما يوجب التغيير بل يجب أن نعمل جادين للبحث في منهج هذا المشروع بما يفيد أهدافه التي يسعى إليها من تغيير المسار الإنساني نحو الحق، وبالتالي الارتقاء بالمعرفة من التطبيقات الإنسانية البعيدة عن التوجيه الإلهي إلى تطبيقات توافق الإرادة الربانية لها الأثر الايجابي في تحريك المسار التاريخي الصحيح للتجربة الإنسانية فوق الأرض؛ ومن هنا تأتي أهمية التأصيل التي تعني فيما تعنيه **تحريك المعرفة وتفعيلها في عالم الشهادة تفعيلا نحو الحق وربطها بالغيب ربطا منهجيا**، وإن لم يلتزم هذا المشروع هذا البعد المحرِك لحل المشاكل الكثيرة والمتأزمة أصبح مشروعا ضالا وظيفته زيادة تكديس النظريات غير القابلة للتطبيق التي هي بمثابة سدادات تسد القلب الإنساني وتشل- من الشلل- الحركة الايجابية وبالتالي تثقل كاهل المشروع الحضاري الذي يسعى إلى إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور وتطيل من عمر الجهل والضلال وبالتالي معاناة الإنسان دنيويا وخسارته أخرويا.

(1) صرح الدكتور عمار جيدل بهذا أثناء اللقاء الذي أجري معه في قناة العربية بحصة وجوه اسلامية.

(2) الموافقات، تحقيق:محمد عبد القادر الفاضلي،المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2004م،24/1.

إن عمر مشروع التأصيل رغم أنه إن قورن بأعمار المشاريع الناجحة لا يزال فتيا إلا أنه من المفترض أن يُعجلَ بإنجاحه وإخراجه إلى النور لأنه مشروع ذو أصول ربانية ومنهج مسيَج بسياج إلهي يحيطه بالحق وبمنهج فريد يجعله يتجاوز الكثير من الأخطاء التي وقعت فيها ولا تزال الكثير من المشاريع الوضعية الناجحة التي وإن نوَت خدمة الإنسان إلا أنها حادت عن الصواب بحكم إنسانيتها التي تتصف بكثير من القصور وقليل من الحكمة التي تقتضي تحديد الأهداف واختصار الخطوات والمعرفة الحقيقة بالمتطلبات الإنسانية ولن يُكَمل هذا القصور إلا العلم الإلهي الذي يوفره الوحي، فإن اعتبرنا بداية السبعينات هي البداية لهذا المشروع بغض النظر عن التسميات وعن غياب تحديد المنهج الفعلي كما-هو شأن كل البدايات-نستطيع القول أن الأربعين عاما تعد وقتا طويلا كان من المفترض أن تنتج ولو على المستوى التنظيري نظرية متكاملة بعيدا عن الصراعات المفاهيمية والانتماءات المؤسساتية والتكتلات العلمية ناهيك بعدئذ عن ولوج باب التطبيق؛ غير أن الواقع العلمي قدم لنا -للأسف- جهودا علمية متفرقة تعمل بعيدا عن التطبيقات الواقعية وليس هذا عيبا في الدراسات بحد ذاتها ولكن العيب في الظروف المحيطة بهذه الدراسات والتي لم تتح لها فرصة التطبيق وأبقت عليها مجرد أطروحات ليس لها تتدخل فيما يجري في العالم وعلى أرض الواقع رغم أن الذي يحدث على الصعيد العالمي لا يحتمل إقامة مختبرات وانتظار النتائج، إن ما يحدث من جوع في الصومال وتقتيل وتهجير في فلسطين وتنكيل وإجرام في معظم البلدان للمخالفين في الرأي وبيع لمخططات الدمار من مناهج التعليم والبرامج الإعلامية من قبل مصممي الدمار العالمي من أجل امتلاك المناطق الجغرافية والأفكار والمعتقدات...كل هذا وكثير غيره لن يحتمل العمل في ميدان التأصيل وإجراء حلقات بحث والصراع بين المؤصلين في فروع المسائل -وإن كانت مهمة- ثم السكوت بعد ذلك عن كل هذا

الظلم والإجرام الذي يقود البشرية إلى مزيد من الخسائر الجسدية والعقدية والفكرية ،فليس من التأصيل على الإطلاق أن يبق الفريق المؤصل بعيدا عن الحديث عن مشاكل المجتمع الإنساني وربما عن الحلول وهم يدركون أنهم يحملون الحلول الأكيدة للأزمات المتكررة التي تخنق الانسانية ويعملون على أهم مشروع عقدي وفكري ومنهجي له الدور الأكيد والفعال في تجاوز تلك الأزمات والسير بالإنسانية إلى تحقيق توازنها بالتسبيح بحمد ربها وتقديسه سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني:

مفهوم تأصيل المعرفة

الأصل في اللغة العربية أسفل كل شيء، وتأصيل الشيء إثبات أصله[1]، وأصلَ الشيء جعل له أصلا ثابتا يبنى عليه[2].

أما في الاصطلاح فقد تنوعت التعاريف وإن لم تختلف، وجاء المصطلح فيها عبارة عن مركب لفظي مقترن فيه لفظ التأصيل بلفظ الاسلام فاصطلح عليه بـ "التأصيل الاسلامي"، وفيما أراه أن هذا القرن بين اللفظين غير صحيح ذلك أن تأصيل الشيء هو إرجاعه لأصله والأصل هو الاسلام وهو الفطرة فعندما نقول تأصيل العلوم والمعارف تذهب المفاهيم مباشرة إلى بناءها وفق المنهج الاسلامي لأنه الأصل؛ فلفظ الاسلامي فيما أراه هو زيادة يمكن الاستغناء عنها لأن لفظ التأصيل يعنيها.

(1) أنيس ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر،تركيا،استنبول،دط، 20/1.

(2) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، 16/11.

جاءت معظم التعاريف في مجملها على أن التأصيل هو "بناء العلوم على نهج الإسلام"[1]، وهو "الجمع بين القراءتين، قراءة تستصحب الوحي في قراءة الكون وفهمه واكتشاف سننه، وقراءة تستصحب سنن الكون في فهم آيات الوحي، وغاية قراءة الوحي التنزل من الكلي إلى الجزئي، والربط بين المطلق والنسبي، بقدر ما تتيحه قدرات البشر العقلية في فهم تنزلات لكلي، وربطه بالواقع المتغير الجزئي"[2]، ثم تفترقت بعد ذلك حسب تخصص كل علم؛ فعرفه المتخصصون في المناهج بأنه "إعادة وضعها من حيث اهدافها ومحتوياتها، وأساليب تدريسها وتعليمها، وعملية تقويمها في إطار من التصور الإسلامي"[3] في حين عرفها المتخصصون في العلوم الانسانية بأنه: "عودة المسلمين إلى المنابع الاسلامية الأصيلة في تلك العلوم"[4]، وعرفه المتخصصون في العلوم الاجتماعية بأنه" عبارة عن عملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الاسلامي للإنسان والمجتمع والوجود، وذلك باستخدام منهج يتكامل فيه الوحي الصحيح مع الواقع المشاهد كمصدر للمعرفة"[5]. وعرفه المتخصصون في العلوم التربوية بأنه: "انطلاق وانبثاق جميع العلوم التربوية التي تدرس في المجتمعات المسلمة المعاصرة، من أصول اسلامية

(1) مقداد يالجن، أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،الرياض،ط:1416،1هـ، ص:36.

(2) طه جابر العلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط:1417،1هـ، ص: 16.

(3) حامد سالم عايض الحربي، التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم التربوية ومناهجها من منظور التربية الإسلامية، مكة المكرمة،جامعة أم القرى،1418هـ، ص:14.

(4) راشد علي،نحو تأصيل إسلامي للتربية،دار الفكر العربي، القاهرة،1417هـ،ص:09.

(5) رجب ابراهيم، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية: المفهوم- المنهج- المداخل- التطبيقات، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزي، الرياض، ط:1، 1416هـ، ص:41.

وعقدية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والمحددة لمفاهيم الألوهية والإنسان والكون والحياة والمعرفة والقيم والعلاقة بين كل منها، ورفض إقامة هذه العلوم على أصول ومفاهيم تتعارض مع العقيدة الإسلامية ومقتضياتها"[1].

هذه التعاريف يقصد بها توجيه العلوم الموجودة من جهة واستخراج العلوم والمعارف من الوحي من جهة أخرى وهذا لب التأصيل؛ إذ أن العمل على توجيه العلوم والمعارف الموجودة نحو الأصل يمكن أن يوقعنا في إهدار الوقت والجهد؛ ذلك أن الكثير من تلك المعارف خاطئة والعمل على إبطالها يأخذ الوقت والجهد هذا إن لم يقع تأكيدها وعدم اكتشاف خطئها، في حين كان يجب أن يستغل هذا الوقت والجهد فيما صح؛ من أجل ذلك يبدوا أن العمل على تحديد البداية البحثية من الوحي هو جزء غير متنازل عنه فهو يضمن أن تكون المادة المشتغل فيها صحيحة فيتفق التعبد من طريقين في طريقة واحدة وهي التعامل مع الوحي من جهة الايمان به ومن جهة الاستفادة من العلوم الموجودة فيه. وعلى هذا الأساس **فتأصيل المعرفة يعني ربط المعارف الانسانية والعلوم الكونية بالأصل الحق الذي خلق الخلق ووضع السنن والقوانين التي تحكم العالم والخلائق ابتداء وتوجيهها، وهذا يعني ربط الحياة الانسانية بكل حيثياتها بالله عز وجل وتوجيه الارادة الانسانية في كل التخصصات من أجل موافقة الارادة الالهية ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾**[2]، وهذا الربط منطلقه الايمان بالله سبحانه وتعالى والدعوة إليه من أجل إنقاذ الإنسان من الغي والضلال اللذين تتخبط فيهما البشرية مسلميها وغيرهم؛ فالعالم الإسلامي

(1) صالح سليمان العمرو، التأصيل الإسلامي لفلسفة التربية، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1420هـ، ص:17.

(2) سورة يوسف،الآية:108.

لا تغني عنه هذه التسمية شيئا ما لم يطبق تعاليم الإسلام والإئتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، وأوضاع الدول الإسلامية على كل الأصعدة تدعوا إلى ضرورة التأصيل من أجل الخروج من الأوضاع المزرية التي تعيشها هذه الدول، والعالم الكافر بالمقابل لن يغني عنه التقدم العلمي شيئا ما لم يربط هذا العلم برب العلم والعالم، فالمعادلة تقول ما يلي:

- الدول المسلمة وهي لا تطبق تعاليم الإسلام ولا تُجاري السنن الإلهية في الآفاق وفي الأنفس أصيبت بمصيبتين: مصيبة الذل والهوان وضنك العيش ومصيبة التخلف العلمي وفقدان التحكم بمصيرها وقراراتها.

- الدول الكافرة وهي تشرك بالله أحيانا وتنفي الوجود الإلهي أحايين أخرى وتجاري السنن الإلهية في الآفاق والأنفس أصيبت بمصيبتين: مصيبة الشرك ومصيبة فقدان التوازن العلمي والوصول إلى أهداف خاطئة أضرت البشرية وعاثت في الأرض فسادا.

وهذا يوافق منطقيا وواقعيا الأوضاع المتردية للحياة الإنسانية فوق هذه المعمورة التي استُخلِف فيها

الإنسان. فالتأصيل هو منهج معرفي دقيق يسعى إلى إنشاء نمط معرفي ونمط معيشي ذو أهداف فعلية تنطبق والمتطلبات الفطرية والمتطلبات الكونية في الاقرار بوجود الله تعالى وبوحدانيته تعالى في الربوبية والألوهية.

المبحث الثالث:

أهداف تأصيل المعرفة

ليس الهدف من التأصيل امتلاك العالم اقتصاديا أو سياسيا أو عسكريا أو حتى فكريا، وليس الهدف إعادة الصولة للشرق بعد أن حازها الغرب؛ وإنما الهدف هو إحقاق الحق والسير بالعالم كله شرقه وغربه إلى توحيد الله عز وجل وإعادة التوازن إلى الفكر الانساني لانسجامه مع الكون في نبضات متناغمة على التوحيد والتوحيد فقط.

* تصحيح الأفكار التي توصلت إليها النظريات الغربية، والتي إن بقيت على ماهي عليه اليوم سوف تسير بالبشرية نحو الهاوية. والعمل بالمقابل بكل جد على استخراج الحقائق العلمية من القرآن الكريم والتأكيد عليها بأسلوب علمي مع التأكيد دائما على النسق التوحيدي كصبغة إلهية يجب أن تصبغ كل الأفكار والمعتقدات.

*الاحتكاك الفعلي والواقعي بين الوحي والواقع المعاش وهذا من أجل التقليل من الأزمات التي لا تكاد تنتهي؛ فكلما ظهرت أزمة تلتها أختها؛ سواء الأزمات الاجتماعية أم السياسية أم الأخلاقية.

* شغل البشرية بما صح من العلوم وإعطاء القلب البشري مقامه العلمي والمعرفي وإخراجه من دائرة النظريات التي تضعه في غير ما خلق له.

المبحث الرابع:

منهج تأصيل المعرفة

عكف المشتغلون بالعلوم الإنسانية منذ عدة سنوات على مشروع تأصيل العلوم الإنسانية ولعل المشروع على عمومه قد خُصص بصورة واضحة للعلوم الإنسانية وكأنها الجانب المعرفي الوحيد، وقد تفاوتت الجهود واختلفت المساعي ووضحت الأهداف أحيانا وغمضت أحايين كثيرة، ورغم المساعي العديدة والجادة إلا أن منهج هذا التأصيل بدا غامضا إلى حد كبير مما أدى إلى عدم وضوح النتائج التطبيقية لهذا المشروع الضخم ولعل السبب يعود كما قال ابراهيم رجب إلى: "عمومية التناول في معظم الكتابات حول التأصيل وتركيز تلك الكتابات على ما يتصل ببيان الأهداف النبيلة للمشروع (وهذا موضوع مأمون العواقب يندر الخطأ فيه)، مع الإشفاق في الوقت نفسه من التعرض للتفصيلات التي يتطلبها الخوض في مسائل المنهج، تحسبا من الوقوع في المخالفات لما هو متعارف عليه في العلوم الشرعية، أو الوقوع في الأخطاء فيما هو معترف عليه في العلوم الاجتماعية الحديثة"[1]، هذا إلى جانب السبب الرئيس وهو سهولة الخوض في التأطير النظري للمسألة وصعوبة الوصول إلى منهج تطبيقي يلامس المتطلبات الواقعية ويترجم الخطوات العملية لهذا المشروع وفق متطلبات الأوضاع الراهنة، إلى جانب صعوبة التطبيق في حد ذاته وإن وجد المنهج المناسب وهذا بسبب المعوقات الكثيرة. وفيما يلي بعض الخطوات المنهجية التطبيقية التي أراها نقطة بداية لتطبيق المشروع على أرض الواقع:

(1) ابراهيم رجب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.

*البدء من القرآن والسنة الصحيحة والعودة إليهما: (بدء وتحكيما) مع التأكيد على ضوابط التفسير والتأويل وهذا من أجل تجنب المطب الذي وقع فيه الكثير من الباحثين الذين بدؤوا بحوثهم من خارج القرآن الكريم فظنوا أن كل ما وافق عليه القلب البشري مما يسمى بالنظريات المعرفية له مقابل في القرآن الكريم فوقعوا في اللامنهجية وجعلوا من القرآن شاهدا على تلك النظريات التي يعتبر الكثير منها أوهاما معرفية لا مكان للحقيقة فيها.

*الاهتمام باللغة العربية لأنها مفتاح فهم القرآن الكريم، وهذه الخطوة تعد منطلقا أساسيا للتأصيل؛ ويكون هذا الاهتمام على صعيدين: الصعيد العربي والصعيد الأجنبي؛ أما الأول فالعمل فيه يكون بإعادة الأهمية المغيبة عن الساحة الثقافية والتعليمية للغة العربية؛ خاصة في دول المغرب العربي التي لا تزال تئن تحت وطأة الحملات الشرسة الموجهة من قبل أذيال الاستعمار والتي لا تزال تنخر في ثوابت الأمة؛ وذلك بتدعيم الحصص الخاصة باللغة العربية خلال مراحل التعليم قبل الجامعي

(التعليم الابتدائي والإكمالي والثانوي) وتهيئة أساتذة لغة متمكنين من اللغة العربية، ثم العمل على تعريب التعليم في الجامعات بكل تخصصاتها في العلوم التجريبية والخروج من دائرة اتهام اللغة العربية بعدم مقدرتها على استيعاب المصطلحات العلمية في التخصصات الطبية والتقنية وإعطاء الأهمية والأولوية للغات الأخرى؛ خاصة الانجليزية التي تتصدر اللغات في هذا العصر. وتكون هذه الخطوة (التعريب) بالاعتماد على الكوادر المتخصصين في العلوم التطبيقية من أبناء هذه الأمة المخلصين الذين يسعون إلى ترسيخ ركائز اللغة العربية في تخصصاتهم المعرفية وهم يؤمنون بهذه القضية الجوهرية وهم كثيرون يكفي فتح المجال أمامهم للاستفادة من مجهوداتهم وخبراتهم.

* تعديل البرامج التربوية وجعل القرآن الكريم هو المحور المركزي للدراسات من بدايات التدريس الابتدائي إلى التخصصات العليا بالجامعات؛ وذلك من أجل المساهمة في بناء جيل قرآني مرتبط بالله عز وجل وله تواجده الواقعي: فرسان النهار رهبان الليل كما كان جيل التنزيل الأول.

* غرس النموذج النبوي في النفوس من خلال إدراج مادة فقه السيرة النبوية وفقه التاريخ الاسلامي في المنظومة التربوية؛ وذلك من أجل المساهمة في بناء جيل قرآني واثق من نفسه ولا يحمل بين جنباته ما حمله هذا الجيل من الانبهار بكل ما يأتي من وراء البحار.

*توجيه الجيل الجديد إلى تخصصات العلوم التطبيقية مع تحصينهم بالقرآن الكريم والعقيدة الصحيحة في بداياته الدراسية، وفي نفس الوقت توجيه مجموعة من النجباء الأذكياء –على عكس ما يحدث اليوم –إلى العلوم الشرعية بعد تزويد جامعات هذا التخصص الحساس جدا بعلماء قادرين على صياغة هذه العلوم بضوابطها الشرعية –وأؤكد على الضوابط الشرعية– صياغة تفعيلية تجعل منها المحرك والموجه للحياة من جهة والمتوجه إليها من جهة أخرى ليصبح الإسلام بمحركه العقائدي وهو التوحيد يصبح سبب الحياة وهدف الحياة في نفس الوقت ليرسم منهجا فريدا يغذي عالم الشهادة بأسرار عالم الغيب ويتصل بعالم الغيب بإيمان عالم الشهادة.

* العمل على تأصيل المصطلحات وعقد النية على استخدام اللفظ القرآني في البحوث والدراسات الجامعية، والثقة في هذه الألفاظ في مجال العلوم الانسانية والتجريبية على السواء.

*إلغاء تدريس النظريات الغربية في كلياتنا ومعاهدنا سواء ثبت بطلانها عندهم أم لم يثبت؛ ومثال ذلك نظرية لومبروزو الذي قال أن الانسان المجرم ولد مجرما تبعا

لخلقته ومواصفاته فهذه كذبة تناقض الحقيقة التي قال بها رسول الله ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى أن الانسان أي إنسان وكل إنسان يولد على الفطرة[1]؛ أي على الاسلام؛ فوجود هذه النظرية الخاطئة في مقرراتنا التعليمية هو نوع من الاستهزاء بالطلبة وبقلوبهم التي تأبى أن تضيع وقتها في مثل هذه الأكاذيب؛ من أجل هذا يجب تطبيق تنقية مناهجنا التعليمية من الأكاذيب الغربية التي تفوه بها أناس لا يعلم مسيرة حياتهم ولا شخصيتهم إلا الله تعالى.

* تجاوز التعامل مع النظريات إلى التعامل مع القوانين" وذلك على اعتبار أن القانون العلمي scientific law هو نوع من التقرير يتم من خلاله الكشف عن حقيقة عنصر ما في الكون ضمن أي مجال من مجالات البحث العلمي...هذا فيما يقوم مفهوم النظرية scientific theory على الرؤى التي تحاول أن تضع تفسيرا علميا لحالة وحركة الكون في مجمله...عليه فإن منطلق البحث التأصيلي في مصادر الوحي في جانبه العلمي البحت ينبغي أن يقوم على اعتماد القوانين العلمية الثابتة دون النظريات المتغيرة وذلك بصدد تكوين الرؤية الكونية الشاملة world view"[2]، وبهذه الطريقة تأمن الدراسات التأصيلية مطب الوقوع في أخطاء النظريات.

(1) اعتمادا على الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين رقم الحديث: 2658، حيث قال: حدثنا حاجب بن الوليد حدثنا محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يقول "قال رسول الله ﷺ ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء "

(2) وائل أحمد خليل الكردي، نحو منطق لضوابط وقواعد التأصيل الاسلامي للمعرفة، ص: 9.مقال .

*تدريس الثوابت والأصول فيما يخص مثلا أصل الانسان ومصيره ودوره في الوجود من أجل تحصين الطلبة علميا وإبعادهم عن ما يضر عقيدتهم ويخدش قدراتهم ومؤهلاتهم التي ينبغي أن تشبع بالحق وتغذى بما يصونها لا بما يضعفها ويهزأ بها.

*الاستفادة من جهود العلماء العاملين في مجال العلوم التجريبية على أوسع نطاق؛ فالدكتور زغلول النجار-على سبيل المثال- برع في هذا المجال ويعد مختصا في مجال العلوم التجريبية ولذا يجب الاستفادة منه وذلك بواسطة استشارته في وضع مناهج التعليم في الكليات المتخصصة في العلم التجريبي وتطبيقه مباشرة بتعديل البرامج والتأكيد على أن هذه العلوم مرتبطة بسنن إلهية مضبوطة، وأن الله تعالى هو ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]، وخلق الكون كله بالحق، فليس للطبيعة تصرف كما يحلوا لكثير ممن جهلوا الحق أن يعتقدوا فيقولون كما قال أحدهم:"...كذلك فإن العلم من حيث هو نشاط لا يخلوا من المخاطرة، لا بالنسبة للعالم الفرد ولا بالنسبة للمجتمع، حيث إن الطبيعة قادرة تماما على الانتقام سواء بالأسلحة النووية أو بفيروسات نقص المناعة البشرية"[2]

(1) سورة طه، الآية: 50.

(2) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط: 1، 1993م، ص:277.

المبحث الخامس:

معوقات تطبيق المشروع وأهم الحلول

1- معوقات تطبيق المشروع

*من أبرز المعوقات قوة التيار المعادي للغة العربية؛ سواء على المستوى الداخلي للدول العربية أم على المستوى الخارجي، ويجب أن نعترف أن هذا التيار له أساليب قوية وذكية في التأثير على المنظومة التربوية تأثيرا يهون من قيمة اللغة العربية في نفوس أبنائها ويقلل من استعمالاتها ويحصرها في تخصصات معينة تنافسها فيها لغات أخرى.

* من أهم معوقات التطبيق الانفصال الحاصل بين الفئة المؤصلة –أو لنقل العلماء- والفئة المطبقة أصحاب القرارات التنفيذية؛ فما فائدة التأصيل إذا لم يدخل حيز التنفيذ علما أن النظريات الصحيحة منها والخاطئة لم تُعرف على المستوى العلني والعالمي إلا عندما طبقت حيثياتها على الواقع.

* صدور الأعمال التأصيلية عن فئات تنتمي إلى دول مغلوبة لا تملك لا القوة ولا السلطة لإصدار قراراتها بنفسها؛ بل هي دولا محكومة تستمد قوانينها وقراراتها من الدول المهيمنة والمسيطرة عليها بعلة التفوق الحضاري والتقدم العلمي؛ وهي علة وهمية استغلها أصحاب النفوذ والمصالح الدنيوية لخدمة مصالحهم وجلب منافعهم التي هي في الحقيقة مضار عليهم وعلى محكوميهم، ناهيك بعد ذلك على أن العمل ألتأصيلي صادر عن فئات غير محبوبة عند ذوي القرارات التنفيذية الداخلية وبالتالي –كما ذكرت في العائق الثاني- لا تملك صنع قرار التغيير، ولا يعد هذا مصوغا-رغم قوته- لعدم السعي للتغيير و البقاء خارج إطار التطبيق؛ فعلى العاملين على التأصيل العمل على تطبيق هذا التأصيل وتوفير أسباب التطبيق وإن

تعذر ذلك؛ فلا يكفي نبذ الظلم ومعرفة الظالمين ولكن يجب الإيمان بضرورة عدم تقبل هذا الظلم والإحساس بضرورة نزع رداء المظلومية وذلك بإيقاف الظالم وإلا عدت المسألة كما وصفها مالك بن نبي قابلية للاستعمار[1].

* عدم تكاتف أعمال التأصيل واجتماعها تحت لواء واحد من أجل تقويم الأعمال واستكمال النقائص والخروج بعد ذلك بنتائج عملية ذات وزن جماعي علمي يحميها من الكثير من الأخطاء.

* من المعوقات البارزة القصور عن إيجاد منهج دقيق موثوق لتفعيل القرآن الكريم بالواقع ؛فهناك أخطاء منهجية في فهم القرآن الكريم وفي ضبط السلوك والفكر بالقرآن الكريم والانفعال به من أجل امتلاك منهج تطبيقه على الواقع كما كان رسول الله ﷺ خُلُقه القرآن الكريم، خاصة و أن المناهج الحديثة فيما يُعرف باللسانيات والسيمائيات قد أحدثت تشويشا فعليا في الأوساط الفكرية مما أدى بالباحثين المسلمين إلى دخول حالة اللاثقة فيما يمتلكونه من أدوات الفهم والقراءة الصحيحة للوحي فحدث عندهم حالة من البحث الفوضوي الذي ضيع عندهم فرص التطبيق فتاهوا في التنظير بغية إفهام الآخر-أو لنقل إفهام أنفسهم-بأنهم قادرين على ممارسة الثقافة السائدة وتاهوا عن الحق بالرغم من أنهم يمارسونه منذ مدة فكان هذا الوضع بمثابة مدخل من مداخل الشيطان زعزع الثقة في الأفهام وفي التراث وحتى في الأصول المعرفية لدى المسلمين فشُغلوا للأسف عن التطبيق بالنظريات الصحيحة منها والخاطئة بالرغم من أنهم كانوا قادرين على العطاء الصحيح لو أنهم وثقوا بما يملكون وعملوا على ملازمة الوحي والانشغال بالتطبيق الفعلي لما يحويه. ولعلنا نضرب مثالا صغيرا لتوضيح الفكرة؛ يتعلق المثال بنظرية

(1) انظر: شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، دط، 1986م،ص:153.

النظم التي تنبني على العلاقة المعنوية على أن اللغة ليست ألفاظا ولكنها العلاقة بين تلك الألفاظ وبأن المعنى هو المراد بالألفاظ؛ فيصبح النحو غير متعلق بنهايات الألفاظ ولكنه متعلق بالمعنى المراد من اجتماع الألفاظ وفي هذا قال عبد القاهر الجرجاني:" اعلم أن ليس النظم إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" ،وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك، فلا تُخل بشيء منها. وذلك أنالا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أنّ ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك:(زيد منطلق) و(زيد ينطلق) و(ينطلق زيد) و(منطلق زيد) و(زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) و(زيد هو المنطلق) و(زيد هو منطلق)..."[1]، بالإضافة إلى فكرة السياق التي بكر الجرجاني وأبدع في طرحها وأكد على أن اللفظ لا قيمة له إلا في إطار سياقه وذلك عندما قال: "وهل تجد أحدا يقول: هذه الفظة فصيحة ،إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمتها معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟..."[2]، وتأتي البنيوية الحديثة لتتكلم فيما تكلم فيه الجرجاني منذ قرون، " وها هو ذا الناقد الانجليزي (إ.أ ريتشارد) يتحدث عما تحدث به الجرجاني دون أن يضيف شيئا يذكر، يقول: "ومعنى إي لفظة لا يمكن ان يتحدد إلا من علاقة هذه اللفظة بما يجاورها من الفاظ". وإذا انتقلنا إلى قول ت. س. (اليوت) نجده كذاك لم يتعد موقف الجرجاني من السياق :"إنّ الكلمات الواردة في السياق كله بالإضافة إلى العلاقات الناشئة من معنى الكلمة في السياق الذي وردت فيه ومعانيها الاخرى التي اكتسبتها من استعمالاتها وارتباطات السياق كثيرة او قليلة"[3]. وليس

(1) دلائل الاعجاز، تعليق: محمد أحمد شاكر، دط، دت، ص:81.

(2) نفس المصدر، ص:45.

(3) محمد جنيد الوقفي، نظرية النقد اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني، منتديات تخاطب، 7 يوليو 2010م.

هذا بمنقصة في البنيوية التي استطاعت أن تصل إلى حقيقة وصل إليها المسلمون مبكرا! ولكن النقص فيمن استشهد بها وترك الاستشهاد بالأصل مع أن البحث العلمي يقتضي الاستشهاد بالأصل والمنقصة فيمن شغلتهم البنيوية عما عندهم لمجرد استعمالها لمصطلحات جديدة وأسلوب جديد. *غياب الايمان الجماعي الذي بواسطته فقط يستطيع المشروع أن يبرز ويجتاز مرحلة الكمون إلى مرحلة الحركية والتطبيق، وبالتالي غياب المرجعية العملية التي تعرض عليها الأعمال لتقييمها؛ فتكون موجها لعملية التأصيل توجيها يقدم الأولى فالأولى لاختزال الجهود واختصار الوقت ونفي العشوائية في البحوث التطبيقية. وقد أحس محمد رشيد رضا بهذه المشكلة عندما تحدث عن الأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن عندما قال:" السبب الرابع: أن الإسلام ليس له دولة تقيم القرآن وسنة الرسول ﷺ بالحكم وتتولى نشره بالعلم، ولا جماعات دينية تتولى بحمايتها الدعوة إليه بالحجة، وليس لأهله مجمع ديني علمي يرجع إليه في بيان معاني القرآن وهدايته في سياسة البشر ومصالحهم العامة، التي تتجدد لهم بتجدد الحوادث ومخترعات العلوم والفنون، وفيما يتعارض بين العلوم ونصوص الدين، فيرجع إليها علماء الافرنج في استبانت ما خفي عليهم من نصوصها"[1].

2- أهم الحلول

* اقتناع القائمين على المشروع بالبداية من القرآن الكريم لتصحيح النظريات. والاهتمام باللغة العربية أكمل اهتمام.

(1) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط:3، 1406هـ، بيروت، لبنان، مقدمة الطبعة الأولى.

*الخروج بالمشروع للجامعات ونشر الوعي بين الطلبة من أجل العمل على تطبيق احداثياته سواء على المستوى الشخصي للطلبة أم على مستوى الآخرين بالنسبة للطلبة المتخرجين الذين سيشغلون مناصب العمل المختلفة من تسيير وتدريس وغيرها.

*الاهتمام بالمصطلح ونشر الألفاظ القرآنية كبديل لما هو منتشر في الأوساط العلمية والساحات الثقافية.

* الخروج من دائرة تقديم النظريات والدراسات إلى التطبيقات الفعلية التي يجب أن تظهر أول ما تظهر على مستوى الأفراد القائمين على المشروع قلبا وقالبا ثم على المستوى المؤسساتي الذي يتمثل في الجامعات والمؤسسات التربوية على مستوى العالم الاسلامي دون وضع عائق الحدود الجغرافية أو السياسية في الحسبان وهذا يحتاج إلى صدق النية في العمل وإلى جدية الطرح التنظيمي دون اللجوء إلى صبغ المشروع تحت صبغة سياسية دولية كانت أو حزبية؛ وإنما السير بالمشروع سيرا علميا اصلاحيا عالميا، مع "ضبط القدر الذي تجتمع الأمة عليه، ولا يسعها التهاون فيه بحال من مسائل العلم والعمل، وهو الذي يحفظ لها كونها أمة، إذ لم تكن أمميتها جغرافية بحتة، أو تاريخية، أو جنسية."[1]، ولن يتحقق هذا إلا وفق عمل جماعي تكون بداياته هي توحيد أطراف العمل التأصيلي مع تحديد المكان والزمان كمنطلق فعلي للتطبيق وتجاوز الخلافات الاصطلاحية والانتمائية؛ فالمنتمون إلى المعهد العالمي للفكر الاسلامي على سبيل المثال يشتركون في أعمالهم مع المنتمين إلى مركز التأصيل للدراسات والبحوث بالمملكة العربية السعودية وهؤلاء

(1) مصطفى ابن عبد الله، الدراسات القرآنية في عصر العولمة، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي حول دور الدراسات الاسلامية في المجتمع العولمي:15-17 محرم 1432هـ،كلية الدراسات الاسلامية جامعة الامير سونجكلا.

يشتركون في أعمالهم مع المنتمين إلى معهد إسلام المعرفة بالسودان ومع المنتمين إلى غير ذلك من الجهات الأخرى، مع وجوب الاستعانة بجهود الباحثين السائرين في مجال إعجاز القرآن الكريم بكل فروعه الكونية والتاريخية والتشريعية من أجل تكميل المشروع بإمداده بالمعلومات من جهة وبتصحيحه هو للمعلومات من جهة أخرى. ويأتي بعد توحيد جهود المؤسسات الخاصة بالمشروع توزيع مفردات المشروع على الجامعات الاسلامية لمختلف البلدان كدول المغرب العربي ودول المشرق العربي المختلفة وتركيا وماليزيا وحتى الدول الأجنبية كفرنسا والصين وكل الدول التي تحوي جامعات تهتم بالدراسات الاسلامية.

*الخروج بتطبيقات المشروع من المؤسسات الأكاديمية إلى المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والجمعيات التوعوية، واصلاح المنظومة التربوية؛ ولن يتحقق هذا إلا باتجاهين؛ الأول أن تملأ المناصب التربوية بالصالحين من أبناء الأمة والثاني على الصالحين ذوي الخبرة أن يتصدوا لهذه المهام وأن لا ينسحبوا من المناصب الحساسة التي هي بحاجتهم.

الخاتمة

إن الحلول التطبيقية المقترحة في هذه الدراسة تحتاج إلى جهد جماعي صادق من أناس يملكون مواقع التغيير متخصصين كل في مجاله، ومخلصين يحملون الاعتقاد الراسخ بضرورة التغيير والمسارعة في تحقيق أبجدياته لأن الأوضاع الراهنة التي يعيشها العالم من اللااستقرار تدعوا إلى إعلان حالة استنفار عامة يكون شعارها الفرار إلى الله تعالى؛ لأن الظالم جار والعالم حار والناس وضعوا أيديهم على قلوبهم لا يعرفون إلى أين المفر، ومن الصعب جدا أن يقف أصحاب الرسالة الخاتمة موقف المتفرجين الذين لا يلوون على شيء في تغيير المشهد الواقعي وهم يمتلكون الترياق الشافي ،كما أنه من الصعب عدم وضع الخطوات التطبيقية الأولى والبقاء في دائرتي التنظير والتطبيق التقني دون التطبيق التفعيلي وهذا التطبيق يجب أن يمس شرايين المجتمع وخاصة الفئة المتعلمة صغارها وكبارها كل حسب طاقة استيعابه؛ ولا ينبغي لهذا المشروع أن يبقى محصورا في الفئات الباحثة أو التي لها اهتمام به على أكبر تقدير متمثلا في المؤتمرات وحلقات البحث والمخابر العلمية وتأليف الكتب وطباعتها ونشرها بل يجدر به أن يصبح مشروعا متحركا بين أفراد الأسرة الانسانية جميعها دون استثناء مع مراعاة متطلبات كل فئة؛ فالفرد المسلم يقدم له المشروع بما يقتضي اكمال اسلامه والدخول به إلى دائرتي الايمان والإحسان، والفرد الكافر يقدم له المشروع بما يعرض عليه الاسلام عرضا صحيحا لإدخاله دائرة الاسلام، وابعاده عن وهم الخوف من الاسلام والمسلمين كما هو منتشر في

أوروبا من ظاهرة الإسلاموفوبيا[1] وإبعاد المسلم بدوره عن الممارسات التي تولد مثل هذا الشعور وهذه الأجواء غير الصحية في الأوساط الغربية.

والحق يقال أن البدايات التطبيقية الفعلية في تجميع شتات المشروع زمانا ومكانا على ضرورتها غير واضحة وأرى أنها تحتاج إلى تحرك المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن ومعهد اسلام المعرفة بالسودان ومركز التأصيل بالمملكة العربية السعودية ومعاهد الخدمة ومؤسسات البحث في تركيا ومعهد الدراسات المصطلحية بالمغرب واتجاهات أخرى ربما هي غير معروفة لكنها ستظهر بمجرد ظهور المشروع إلى ميدان التطبيق كل هذه المؤسسات هي الكفيلة برسم البداية التنفيذية والانطلاق بها بين شرايين التواجد الاسلامي في العالم، بعيدا عن الاختلافات الاصطلاحية أو الانتماءات التكتلية أو السياسية عسى أن يظهر مستقبلا عملا علميا منهجيا يحمل شعلة التغيير الفعلي، ويلتفت إلى التطبيقات المعرفية وفق مخطط عملي واقعي يمس كل المؤسسات التعليمية دون استثناء.

(1) الاسلاموفوبيا أو رهاب الإسلام هو لفظ حديث نسبيا يشير إلى الإجحاف والتفرقة العنصرية ضد الإسلام والمسلمين، انتقل مصطلح إسلاموفوبيا بمعنى الخوف من الإسلام من اللغة الأنجليزية إلى لغات العالم المختلفة بدون استثناء. يعود أول تأريخ لهذا المصطلح إلى سنة 1987 أول محاولة تعريف هذا المصطلح ترجع إلى عام1997 .